النشاط الثقافي في الغرب

إسبانيا

الفائز بجائزة نوبل

منحت جائزة نوبل للآداب هذا العام الى الشاعر الاسباني الكبير جوان رامون جيمنز J. R. Jimenez الذي يقيم الآن في بورتوريكو ، وهو استاذ الأدب في جامعة بوتوريكو ، ويبلغ الخامسة والسبعين من عمره .

وكان اول كتاب صدر لهذا الشاعر الانساني الكبير هو Platero y yo اي « بلاتيرو وانا » الذي ترجم الى عدد من اللغات ، ويصفه المؤلف بأنه « مرثية اندلسية » ، وهو مجموعة من القصائد النثرية بطلها بلاتيرو ، وهو أتان يكاد يختفي من العالم الى ان تلتقطه حديقة حيوانات في الولايات المتحدة فتضمه الى حيواناتها وتعلق على ظهره عبارة « حمار اسباني ، حيوان اجنبي » ويظل بلاتيرو يذرع الريف في « موغر » (حيث ولد الشاعر) تجاه الاوقيانوس بين بيوت شديدة البياض ودوالي العنب وشجر البرتقال ...

وجوان رامون جيمنز شاعر من شعراء « الأقلية » . وقد أهدى احد كتبه بهذا الاهداء : « الى الأقلية ... دائماً » ، ويعتبره شعراء اسبانيا المعلم الذي خلق مدرسة غنائية لن تبلى على الزمن . وقد وصفوه بأنه « اندلسي عالمي » . فلئن كانت الاندلس تظهر للخارج بطابع البروز والجذل ، وهو طابع مزيف احياناً ، فينبغي ان تعرف كذلك بحفاوتها المعبرة وجمالها المكتوم ، وسحرها الهادئ الصموت . وعند جوان رامون ترتعش الروح الحقيقية لأرضه ، وهي روح تسعى الى اعمق الجذور وأرطبها لتستخرج منها نسغ الخلق الأدبي . وإن القارئ ليشعر بأن هم الشاعر الاول وشغله العميق هو ان يتركز في عاطفته الصحيحة ، وفق اسلوب خاص به . وهذا لا يمنع انه تأثر ، في انتاجه الاول خاصة ، بشاعر جنوبي اميركا روبن داريو ، كما ان في انتاجه آثاراً من الرمزية الفرنسية (هنري دو رينيه ، موريا) ثم عودة الى الغنائية الكلاسيكية الكاستلانية ، وهو شكل طوعه غارسيا لوركا لعبقريته الفذة . على ان جيمنز ما لبث ان ارهف مضمون شعره وجعله اكثر عمقاً وداخلية ، مع مزيج عجيب من الطمأنينة والقلق الميتافيزيكي ، وهذا يبلغه الانسان حين يفقد شبابه وينظر الى الحياة من غير اوهام خادعة ، ولا رغائب عنيفة ولا مطامح مادية .

ولاشك في ان جوان رامون جيمنز هو الشاعر الذي يشمل ميدانه الشعري اوسع الآفاق واوفرها تنوعاً . وان مرحلته الغنائية الأخيرة تختلف كل الاختلاف عن بداءته الشعرية . وهو يود لو يتلف قسماً من انتاجه ، وقد عبر عن ذلك مراراً . على ان الحكم على شاعر ينبغي الا يتم بالنسبة لمرحلة من مراحله ، بل بالنسبة لمراحله كلها ولانتاجه جميعاً . فان لجميع لحظات الحياة البشرية أهميتها .

ان ما يكتبه جوان رامون الآن هو تتويج لانتاج ادبي حافل .

وفاة اكبر روائي اسباني

مات اخيراً بيو باروجا Pio Baroja اكبر روائي اسباني معاصر . وكان قد ولد في سان سيباستيان عام ١٨٧٢ . وقبل ان يمارس مهنة الكتابة بدأ بممارسة الطب . وقد اشتهر باروجا بتمرده منذ طفولته ، وباستنكاره لعادات الناس الروتينية . ومما قاله في الجزء الثاني من « مذكراته » ما يلي :

« ان الحياة البورجوازية لا توقظ في نفسي اي حماسة . وان التسليات والمسارح وسباق الثيران لا تروقني على الاطلاق . لقد كنت في حياتي طبيباً صغيراً وصناعياً ومضارباً وهاوياً للأدب ، وعرفت عدداً غير قليل من الناس ولم يكن يغريني ان اذهب الى اميركا ، ولم اكن اجد مما يستحق الجهد ان املك مالا وانا في الخمسين من عمري . وقد اردت ان اجرب مهنة الأدب وانا موقن ان هذه المهنة لا ترد على صاحبها مالا . ومع ذلك كان بوسعي ان اعيش فقيراً ، ولكن بآمال كبيرة . وهكذا عزمت . »

وعلى ذلك ، فقد كان باروجا على استعداد منذ البدء ان يقبل حياة الكاتب الشاقة ، مما يدل على اخلاصه نحو نفسه ونحو الآخرين . والواقع ان اعظم مافي حياة هذا الكاتب كرامته وتمرده على الانطواء للشكليات التي تفرضها ظروف المجتمع ، وليست عزلته دليلا على كبريائه كما يقول بعضهم ، فان العزلة قد تكون للقديسين . وانما كانت هذه العزلة تقتصر على حياته الداخلية ، على هذه الأعماق الروحية التي لم يدركها احد . وقد كتب باروجا في احدى مقالاته الأخيرة « ان كل شيء الآن ليس في نظري الا كآبة وحنيناً ، حنيناً يبدأ وينتهي في ذاته ، حنيناً لا يجر مطمعاً ولا وهماً ولا يسعى الى الحصول على وقائع حقيقية »

غير انه كان شديد الود والحفاوة باصدقائه ، وكان يتحدث عن كل شيء : الالهيات والانسانيات ، ويعلق على كل شيء يراه تعليقات ممتعة . ولعل من اهم كتبه « طريق الكمال » الذي نشره عام ١٩٠٢ ، وفيه تجميع مسبق لانتاجه الذي سيصدره فيما بعد ، وعنوان ثانوي « عاطفة صوفية » . وفي هذه الرواية وصف للحج المتواضع التائه الذي يقوم به الانسان في الدنيا ، والبطل يتيه متبرماً شاكاً في بلدة كاستيل ، وينزل في فنادق غير حفية وينام في العراء .

على ان صراحة باروجا وصدقه انما يظهران في « مذكراته » . وهو يلح في مقدمة هذه المذكرات التي وضعها في اخريات ايام حياته ، على حاجته للحقيقة فيقول : « ليست لدي قط عادة الكذب . ولئن حدث ان كذبت مرة ، وهذا ما لا اذكره ، فقد يكون ذلك للخروج من مأزق . »

ولعل اشد ما تبرم به باروجا في آخر ايامه شعوره بالظلم من انه لم يمنح جائزة نوبل للآداب .

انكلترا

لمراسل «الآداب» الخاص

اسفار في الصحراء العربية

في ١٨٧٦ تحرك موكب الحج من دمشق يحمل سراً على إبله مسيحياً إنكليزياً يحمل بضع ليرات في جيبه : ثلاث صفات تكفي لقتل أي تبي في البادية . وإذا تذكرنا أن الأستاذ دوتي لم يكن يغض من أصله كجنتلمان انكليزي ولا من دينه كمسيحي ولا أن يبسط يده للاعراب بالفلوس كان

علينا أن ننحني للرجل الذي عاد ولم يفقد غير لحيته وحقيبته ، إذ نتفوا الأولى منه وتقاسموا الثانية بينهم . وعاد ليترك هذا السفر الثمين من مشاهداته .

طبع الكتاب أولا في ١٨٨٨ ، ثم أعيد طبعه بعد الحرب الأولى ثماني طبعات . وتفسير هذا هو استيلاء بريطانيا على ربوع مختلفة من العالم العربي وازدياد اهتمامها بنواحي عديدة من مجالات النهب والسلب المنتشر في بلادنا بداوة وحواضر . والآن إذ وجد البترول في الجزيرة وأصبح هذا العالم موضع قلق العالم، كان طبع أسفار دوتي نتيجة منطقية . هكذا خرجت في الأسابيع الأخيرة طبعة منقحة من الكتاب في منشورات بنكوين ، وإذا قلنا طبعة ملخصة كنا أدق، فقد أسقط منه كثير من الفصول الصعبة والأقرب إلى الاختصاص منها إلى القارىء البسيط .وهذه أيضاً نتيجة منطقية، فرواد الشرق العربي الآن هم الأمريكان !

حاول المؤلف استيحاء الأجواء القديمة والبعيدة بمحاكاة لغة انكلترا القرون الوسطى . اللغة جميلة ولكنها صعبة ، صعبة على العربي بتعقدها وتقادم صيغها ، وصعبة على الانكليزي باستخدام كثير من أسماء الأمكنة والأشخاص والمفردات العربية . بخلاف ذلك، الكتاب أثر أدبي نفيس. صور حساسة فريدة لغزوات البدو ، حركة القوافل ، ترحال العرب وحطيطهم ، حتى ليتساءل إنسان ما إذا كان دوتي يحاكي شكسبير أم تصهال خيل زهير بن أبي سلمى وزغاءه ، أم هي الصحراء تصلي الأديب سواء أكان دوتي أم زهيراً ؟ داخل الإطار نجد صورة بشعة للخراب العثماني ، الجسور المهدمة ، القفار الخالية ، الطرق المخيفة ، الحراس الذين لا يتقاضون أجراً فيعيشون على بيع شموع الحراسة الليلية ، أمير الحج الذي يقود الحملة مع اثنتين من زوجاته ويقسم للاعراب أن المجيدي أصبح ٢٢ قرشاً ، القائمقام الذي يستلم رواتب ٦٠ جندياً لا وجود لغير ٢٠ منهم وعشرة من هؤلاء فلاحون في مزرعته وبالاضافة فانه يعيش على مخصصات علف الحصان .

يتوجه دوتي من الشام إلى مدائن صالح لجمع بعض الكتابات الأثرية . ولكنه لم يتصور أن هذا سيجره بعيداً إلى نجد وحائل والحجاز فيتحول إلى بحث انتروبولوجي كشكولي . يسجل لنا كثيراً من عادات العرب التي لا تثير انتباه غير الأعجمي ، كيف يخجل العربي من حبه لزوجته وكيف تختلط اللعنات والصلوات معاً في فمه ، حبه للغة والفصاحة بحيث رفض زيد أن يسمح لدوتي بتعليم ابنه أكثر من الأبجدية خشية عليه من عجمة التلفظ الانكليزي ! في مكان آخر يسجل ظاهرة جديدة حتى بملاحظاتنا ، وهي حب العرب للمعرفة والطرافة حتى يقول ان من الصعب جداً على الإعرابي أن يتخاصم مع أحد تمتع وإياه بحديث جدير أنساه نفسه . وفعلا أنقذ هذا دوتي في كثير من المآزق . طبعاً هذا يفسر لنا تلك الفوضى في مؤلفات الجاحظ والإقبال عليها ، وانصراف الناس عن كتاباتنا الحديثة الثقيلة الدم .

في أماكن أخرى يسجل كثيراً من الأخبار والاعتقادات السائدة آنئذ ، كيف أن أهالي معان من أصل يهودي لأن نساءهم يفقدن جمالهن لأول طفل يضعن ، وأن النصارى ذوو أجسام لا يطرقها خلل حتى يصيبهم الصداع كعلامة لحلول أجلهم : « وجع رأس » ؟ مسكين خليل ! (الاسم الذي انتحله دوتي بين العرب) انه قريب من أجله . » هكذا كان يتمتم البدو كلما رق دوتي برأسه ساهماً .

غير أن الكتاب فقير إلى الفهم العلمي والانصهار الموضوعي ، خلافاً لما رأته فيه النيوستيتس مان الانكليزية ، اللعنات لم تكن تتواتر على لسان الإعراب وحدهم بل على لسان المؤلف أيضاً ، وهي على لسانه قذف رذيل في الاسلام نادراً ما نسمعه من غير المسلمين . الثورة المحمدية الهائلة لم تعن شيئاً في ذهنه ، فمن صعوبات الكتاب ان القارئ لا يدري اين يقصد المؤلف بالوثنيين المسلمين واين يقصد بهم الجاهليين وهذا أقل ما نتوقع من باحث ان يعرف . فمن المؤسف ان فهمه وروعة اوصافه للظروف البدوية لم تعنه على كشف النفس العربية . انه يرتكب افظع غلطة عندما يصدقنا بما نقول ان الجزيرة العربية مهد الرسل فيحسب ان كل ما اصابه من العرب أملاه دينهم . الحقيقة هي ان بدو الجزيرة لا يعرفون من دين محمد اكثر من ختان ذكورهم . ان ما قام به امرؤ القيس عندما كسر الازلام ورماها بوجه الاله يقوم به اي منا عندما يذهب الدين ضد ارادتنا . من يحسب ان السلب في الجزيرة للاسلام وليس للبداوة وان تفسخ العائلة الاوربية نتيجة للمسيحيين وليس للصناعة – من يحسب ذلك لم يستفد من قراءته وكتابته .

ضلال مثل هذا اوقع دوتي في كثير من روايات نشك في صحتها ، وهو خطر كبير لمثل هذا الكتاب .

لندن — **خالد القشطيني**

ايطاليا

نظرة الى القصة الايطالية

يتميز الوضع الثقافي عامة والادبي خاصة ، في ايطاليا اليوم ، بتبلور الافكار والنزعات والآراء . وبين الروائيين الايطاليين الآن عدد من الممثلين المشهود لهم .

وينبغي ان يذكر على رأس هؤلاء الذين استطاعوا في العشرين سنة الأخيرة ان يقيموا لأنفسهم مركزاً مرموقاً وشخصية مشهورة فانسانو كارداريللي Cardarelli وانطونيو بالديني Baldini واميلو كاتشي Cecchi وبرينو باريللي Barilli وريكاردو باتشللي Bacchelli وكورادو الفارو (وقد مات اخيراً) واينالو سفافو Svevo وكورزيو مالابارت Malaparte والبرتو مورافيا Moravia الذي اشتهر بمعالجة بعض المظاهر المرضية في المجتمع المعاصر معالجة صريحة واقعية واتريكو بيا Pea الذي استطاع ان يستخرج من حياة ابطاله ، حين يرتدون الى الوراء ، الواناً شاعرية قوية، ونيكولا ليزي Lisi الروائي الكاثوليكي صاحب «مذكرات خوري القرية » الخ ..

والفرق الرئيسي بين الجو الادبي في العهد الماضي الذي يسبق الحرب العالمية الأخيرة والعهد الحالي هو ان النثر لم يكن يقصد آنذاك الى رواية الحياة ، بل كان يقصد الى المعان الشكلي. اما اليوم ، فان ما يحرك الجيل المتوسط والجديد هو ارادة التعبير عن رسالة محسوسة .

والعنصر الذي يميز خير تميز الانتاج الادبي الايطالي المعاصر هو العمل الحي و « الملتزم » لدى الكتاب . وقد بدأ معظم الكتاب الجدد حوالى ١٩٣٠ اذ تجمعوا حول بعض المجلات الادبية التي لعبت دوراً هاماً في تلك الفترة ،

أط

النشاط الثقافي في الغرب

امثال سولاريا « Solaria » و « ليتاراتورا » Letteratura و « السلفاجيو » Il Selvaggio الخ .. فان هذه المجلات وسواها بالرغم من عمرها القصير استطاعت بفضل حماسة محرريها وحبهم للادب ان تبرز حيوية الاجيال الايطالية الجديدة .

ومن اشهر هؤلاء اليو فيتوريني Vittorini الذي اسهم اسهاماً واسعاً بنشر الحس الأدبي وتمثل التجارب الاميركية الادبية بفضل عمل الترجمة الذي قام به والنقد الواعي الذي مارسه . وقد شارك فيتوريني باخراج «مجموعة المختارات الاميركية » التي ظهر تأثيرها في التطور التالي للادب الايطالي . وقد اشتهر هذا الكاتب بمؤلفه « محادثات في صقلية » الذي تنبع منه طاقة شعرية عظيمة .

اما سيزار بافيز Pavese الذي انتج انتاجاً عظيماً ومتصلا حتى انتحاره عام ١٩٥٠ ، فقد كان ذا شخصية فريدة ووضع استثنائي في الادب الايطالي . ومن أشهر كتبه « السجن » و « البيت على الرابية » و « القمر والهالات » ونذكر آثار كارلو اميليو غادا Gadda صاحب الانتاج الغزير « غـادة الفلا سفة » و « عجائب ايطاليا » و « قصر اودين » .

ومن المشهورين في الخارج فاسكو براتوليني Pratolini الذي تطور تطوراً كبيراً بعد الحرب ، ولاسيما في رائعته « قصص العشاق المساكين » . وآخر رواية له هي « ميتيلو » Metello .

وقد تشكل في الوسط الصحفي عدد هام من الروائيين الشبان الواعدين ، على رأسهم ايتالو كالفينو Calvino الذي اشتهر بخيال مجنح قوي . وينبغي ان ندرج في هذه اللائحة السريعة فيتاليانو برانكاتي Brancati الذي اخرج في السنوات الأخيرة افضل الروايات واكثرها رواجاً ومنها « انطونيو الجميل » و « باولو الحار » . واما غامبيني Gambini الذي أصدر أعمق الآثار ابتداء من «ثلم الطراد» فقد انتقل الى الرواية بعد اصدار مجموعته القصصية « أشباهنا » . واروع رواية له هي التي اصدرها اخيراً بعنوان « خنادق » . وميزته الرئيسية تكمن في مقدرة عجيبة على التحليل النفسي الغني بالظلال والحنايا وخاصة ابطاله هي دقة تركيبهم وحريتهم واندفاعهم في المغامرات المجردة .

وينتمي الى الجيل الجديد : ماريو توبينو Tobino الذي انتج آثاراً هامة في الشعر والرواية ، وقد أصبح كاتباً شعبياً بفضل كتابه « نساء ماغليانو الحرائر » الذي تبع روايتين اخريين هما « ملاك البيونار » « وصحراء ليبيا » – كذلك غيسب برتو Berto مؤلف « السماء حمراء » و « اللص » و « حرب بالقميص الأسود » – وكارلو كاسولا Cassola الممتع الحار واشهر كتبه « فوستو وأنا » و « الرفاق القدامى » – ودومنيكو ريا Rea الطريف الغريب المبتكر صاحب مجموعة « ما رآه كوميو » التي تعتبر ذروة في الادب الايطالي المعاصر . ولا ننس الكاتب الشهير ايناتزيو سيلوني Silone والكاتب الرسام كارلو ليفي Levi صاحب الاسلوب البديع الذي يقوم على قوة التفكير وطاقة الرؤية . وقد اصدر رائعته « المسيح توقف عند ابولي » بوحي من ذكرياته في المنفى ، وليس هذا الكتاب شاهداً رائعاً عن الاوضاع المؤلمة التي تعيش فيها الجماهير في ايطاليا الجنوبية فحسب ، بل هو كذلك وثيقة انسانية هامة تفيض بالسحر والشاعرية .

ولابد من الاشارة الى آثار ثلاثة من الكتاب كان انتاجهم من التنوع بحيث شمل فروعاً كثيرة من الأدب ، وهم انطونيو انيانت Aniante وغيسب ماروتا Marotta وكورزيو مالابارت Malaparte . ومن اهم كتب الاول « ذكريات شاب شاخ باكراً » حيث يعبر المؤلف تعبيراً مؤثراً عن حنينه لمسقط رأسه ، كاتانيا ، وعن مغامرته الحلوة في اكتشافه الحب بباريس . ويعرف معظم القراء المثقفين من كتب مالابارت روايتي « كابوت » Kaputt و « الجلد » . وهذا الكاتب يفيض بالحيوية ويمتلىء بالمتناقضات ، ويظل نسيج وحده ، في شخصيته ، وبعيداً عن ان ينتمي الى اية مدرسة او الى اي تيار معين .

وقد عبر ماروتا في كتبه ، ولاسيما في روايتيه « ذهب نابولي » – التي اخرج دوسيكا فيلماً منها – و « اولاد الشمس » ، عن روح بلدته ، وهو كاتب غني بالشعور الانساني وباللون ، وهو يستوحي روحا مسيحية من التسامح والتفاهم بين الشعوب استلهمه من مشاعر سكان نابولي .

ولنذكر اخيراً بعض اسماء الكاتبات في ايطاليا ، وهن يقمن الدليل كل يوم على ان بوسعهن ان يجارين الرجل بل ويفقنه في الانتاج الادبي ، وعلى رأس هؤلاء سيبيلا اليرامو Aleramo وجيانا مانزيني Manzini وفلورا فولبيني Volpini

اشتات من العالم

* قبل ان يغادر الروائي الاميركي ارنست همنغواي منزله في كوبا ليقضي عطلته في اوروبا ، اودع أحد المصارف مخطوطة روايته الأخيرة التي رفض ان يحدث عنها أحداً . ولكن صحفياً ايطالياً قابله في روما تمكن من ان ينتزع منه تصريحاً بان الرواية تتحدث عن الحرب العالمية الثانية . فسأله الصحفي « هي إذن وداع الى السلاح » مرة ثانية ؟ » فأجاب همنغواي : « لا ، بل هي الى اللقاء ! » .

* يعرف الشاعر اليوناني الكبير نيكوس كازانتزاكي الشباب بالتعريف التالي : « إنه العمر السعيد الذي يبدأ فيه الانسان في الايمان بنفسه من غير ان يكف بعد عن الايمان بغيره »

* يقول جورج دوهاميل : « اذا لم تكن الحضارة في قلب الانسان ، فهي ليست في اي مكان آخر » فاين تراها تكون حضارة فرنسا وانكلترا بعد الاعتداء الأخير على مصر ؟

* قال فرنسيس جوردان لأصدقائه الذين كانوا يحتفلون بعيد ميلاده الثمانين : « اود كثيراً ان اومن بتناسخ الارواح ليتاح لي ان اقول لكم الآن : ساحاول ان اكون افضل في المرة القادمة ! »

طبعت على :

مطبعة دار الكتب - بيروت
بناية العازارية